



## مقدمة:

إن العلماء هم عقول الأمة، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرة بالبقاء، وأمة تسعى نحو المجد ثم تتنكب عن طريق علمائها توشك أن تسقط في دركات الهاوية.

### 1- فضل العلماء ومكانتهم

القرآن مملوء بالترغيب في العلم وبيان فضله وفضيلة أهله، وتقدير ذوي العلم ورفعهم درجات، والنصوص من القرآن ومن الحديث يتعدّر حصرها ويمتنع إحصاؤها، وحسبنا منها إيراد القليل كدليل على الكثير، واجتزاء بالجزء عن الكل والبعض عن الجميع.

بين القرآن في كثير من آياته فضل العلماء: قال تعالى: ( يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ) [المجادلة:11]. وقال: ( قُلْ هُنَّ الَّذِينَ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) [الزمر:9]. وقال الله جل ذكره: ( وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ) [التوبه: 122]. وقال: ( يُوتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوتَيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) [البقرة: 269] وقال: ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ ) [النساء: 59]

ووصف الله العلماء في كتابه بخصال ومناقب:

أحدها: الإيمان، قال تعالى: ( وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) [آل عمران: 7] وقال: ( شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) [آل عمران: 18].

وثانيها: أنهم هم أصحاب العقول:

اسمع رحمة الله وإلبي إلى هذه الآيات وأنصت إلى خاتمة كل آية منها لتعلم من هم أولو العقول، وأصحاب الفهم الصحيح بشهادة من خلقهم وعلم سرّهم وجهرهم: قال تعالى: ( يُوتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةُ فَقَدْ أُوتَيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) [البقرة: 269].

وقال: ( وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) [آل عمران: 7].

وقال: ( أَكْمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحُقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) [الرعد: 19]

وقال: ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) [ص: 29]

وقال: ( قُلْ هُنَّ الَّذِينَ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) [الزمر: 9].

وقال: ( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَعَوَّنُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ) [الزمر: 18]

وألو الألباب هم أصحاب العقول.

وقال سبحانه: (وَتِلْكَ الْأَمْتَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ) [العنكبوت: 43].

وثلاثها: الخشية، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر/28].

ورابعها: البكاء والخشوع، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا) [الاسراء/107].

ومما جاءت به الأحاديث في فضل العلماء:

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يُفقِّهُ في الدين). [البخاري/71، و مسلم/1037].

2- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ). [البخاري/24 و مسلم / 2699].

3- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الَّذِيَا مَلَعُونَةٌ مَلَعُونُ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَّدُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ) [ابن ماجه / 4112، وحسنه الألباني].

4- وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي الْثَنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَطَهُ عَلَى هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا). [البخاري حديث رقم: 73].

5- وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مَثَلَ مَا يَعْثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِيلَتُ الْمَاءِ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ، وَالْعَشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَّبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَثُلٌ مَنْ فَهَمَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَ بِمَا يَعْثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلَمَ وَعَلَمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ) [البخاري، و مسلم].

## 2- خطورة طعن وانتقاد العلماء

- قال الطحاوي رحمة الله: (وَعِلْمَاءُ السَّلْفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ – أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفَقْهِ وَالنَّظَرِ – لَا يُذَكَّرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمِنْ ذِكْرِهِمْ بِسُوءٍ، فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ) [العقيدة الطحاوية: 97].

- ويقول الشيخ عبد العزيز الطريفي: إذا غلب نقد الأشخاص على نقد الأفكار فهذا علامة على هوى، تَبَسَّ بحق، والنبي صلى الله عليه وسلم يكثر من نبذ النفاق وقلما تعرض لأعيان المنافقين وهم يظهرون بعض المنكر.

فالعلماء ليسوا معصومين عن الخطأ، فالكمال لله وحده، والعالم إذا اجتهد فأخطأ فهو مأجور، فنهج المسلم هو نقد الخطأ وتقويم الأعواج لا نبذ العالم وإسقاطه،

ثم إن من غلت حسناته وقلت أخطاؤه وعثراته فلا يستقيم أن ننصف جهوده وننسى كل تلك الحسنات والتعب والجهد في خدمة الأمة والدين، فليس هذا من نهج هذا الدين.

- قال ابن المبارك رحمة الله: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته). [سير أعلام النبلاء فصل الخطاب في الزهد والرقة والآداب/ 917].

- وقال أبو سنان الأستدي رحمة الله: (إِذَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً فِي الدِّينِ يَتَعَلَّمُ الْوَقْيَعَةَ فِي النَّاسِ؛ مَتَى

وعن جعفر بن سليمان رحمه الله قال: سمعت مالك بن دينار يقول: (كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين). [شعب الإيمان للبيهقي 5 / 316].

– قال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل- رحمه الله - : (لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات).

يقول ابن عساكر رحمه الله: (ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب؛ ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، **(فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [النور: 63]. [الزواج للهيثمي: 1 / 187]

**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ عَظَّةٌ ... وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرٌ**

فهؤلاء المنشغلون بهذا المسلك لا العلم حصلوا، ولا للآخرة أعدوا، ولا لدعوتهم أقاموا، ولا لدنياهم نفعوا، ضاعت دنياهم، وذهبت آخرتهم.

فَأَيُّ غَايَةٍ يَرِيدُهَا هَؤُلَاءِ بِزَجْرِهِمْ وَهَجْرِهِمْ وَتَبْدِيهِمْ ؟؟

فَإِنْ كَانَتْ غَايَةً دُنْيَوِيَّةً فَلَمَا يَلْبِسُونَ دُعُوتَهُمْ هَذَا الْلِبَاسُ الشَّرِيعِيٌّ ؟؟

أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ طَرِيقَهُمْ فِي الْحَطِّ مِنْ أَقْدَارِ الْعُلَمَاءِ وَثَلَبَ الْأَئْمَةَ كَمْ فَتَنَتْ مِنْ أَنَاسٍ ؟!

وكم أضللت من أقوام حتى صار البعض في حيرة من أمره يبحث عن يدله على طريق ربه؟! فما من داعية إلا وتكلم فيه، فماذا يفعل؟

وَإِنْ كَانَتْ غَايَتَهُمْ شَرِيعَةً أُخْرَوِيَّةً فَهَلْ هَذِهِ طَرِيقَةُ سَلْفَنَا رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ؟

وإن من البوادر الملعونة الطعن في الأئمة رحمهم الله تعالى مراجع الدين، وحمة السنة، والربانيين من هذه الأمة أو الحط من أقدارهم، أو أنهم مبتدعة ضلال، كل هذا من عمل الشيطان، وباب ضلاله وإضلال، وفساد وإفساد، وإذا جُرِحَ شهود الشرع جُرِحَ المشهودُ به، لكن الأغرار لا يفهون ولا يتثبتون.

فأُبَيَّحَ بِهِ مِنْ تَعْوِيقٍ وَتَبْيَطٍ وَتَزْهِيدٍ حَذَرْنَا مِنْهُ الْعَالِمُ الشَّيْخُ طَاهُرُ الْجَزَائِرِيُّ (ت 1338 هـ) وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ بِكَلِمَاتٍ حَقَّهَا أَنْ تَكْتُبَ بِمَاءِ الْعَيْنِ لَا بِمَاءِ الْذَّهَبِ، إِذْ قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ: (عُدُوا رِجَالَكُمْ، وَأَغْفَرُوا لَهُمْ بَعْضَ زَلَّاتِهِمْ، وَعَصَمُوا عَلَيْهِمْ بِالْتَّوَاجِذِ لِتَسْتَفِيدَ الْأَمَةُ مِنْهُمْ، وَلَا تُنْفِرُوهُمْ لَثَلَاثَةِ يَرْهَدُوا فِي خَدْمَتِكُمْ).

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ اِنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِيْ عَالَمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُلِّلُوا، فَأَفْتَوُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) [البخاري/100].

فإذا خلت الساحة من أهل العلم والتقوى، اتخد الناس رؤوساً جهالاً، يفتوهم بغير علم، وإذا أفتوهم بغير علم فلا تسأل عن الحرمات التي تستباح، والدم الممعصوم الذي يهراق، والعرض الذي ينتهك، والمال الذي يُهدَر، ونظرة واحدة الى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين وما يقع فيها من مجازر ومذابح بأيدي الأدعياء الذين استبدوا برأيهم، وتأولوا بأهوائهم، وركبوا رؤوسهم، ولم يصغوا إلى نصائح العلماء، تبئك عن مخاطر تغيب العلماء، وقطع الصلة بينهم وبين الشباب.

إن العلماء هم "عقول الأمة"، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرة بالبقاء، أمة تسعى نحو المجد ثم تتنكب عن طريق علمائها توشك أن تسقط في دركات الهاوية.

في فتنة مقتل عثمان بن عفان-رضي الله عنه-. قام المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ في الناس وحرضهم على عثمان - رضي الله عنه - وقال مقوله خبيثة ورثها بعض الجهلةاليوم

قال: "أقيموا هذا الأمر بالطعن في أمرائهم وعلمائهم" وكذلك فعلوا فاشتعلت نار الفتنة وكانت نتيجتها مقتل عثمان -رضي الله عنه-، و من الأولى أن يكون لنا في هذه الفتنة عبرة لنحذر من كل من أراد بعلمائنا السوء وأشهر لسانه عليهم.

وأن في إهانة العلماء وإسقاط حقهم وكرامتهم، تنفيذاً وتحقيقاً لما يسعى إليه أعداء الأمة فقد جعل اليهود طمس هوية العلماء ومسخ مكانتهم من أهم أهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها، وهذا من سوء نظرهم وخبث مقصدهم، إذ أنهم يعلمون أن في تشويه صورة العلماء مغنمًا كبيراً لتحقيق مآربهم، فإذا استخف الناس بعلمائهم فحدث عن الفوضى ولا حرج، وحدث عن فساد الأخلاق ولا حرج، وحدث عن فشو المنكرات ولا حرج .

جاء في بعض بنود مخططات اليهود ما نصه: (وقد عيننا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين [يعنون بـ رجال الدين: العلماء من غير اليهود] في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوماً بعد يوم).

هكذا قالوا وأرادوا، فلقد أدرك اليهود وأذنابهم، مدى ثقة المسلمين بعلمائهم، وترسخ تلك الثقة في سويدة قلوب المسلمين: (فسنوا حملة مسحورة مستترة، استعملت كل أفانين الدعاية والإشاعة، وأساليب علم النفس والاجتماع، لتشويه سمعة علماء الأمة، حتى تكرههم الأمة)، ومن ثم ترفض الاستثمار بأمرهم أو التأثر بعلمهم.

وقد تكاثفت جهود الصليبية واليهودية ومن تبعها للإجهاز على سمعة العلماء، وعلى مر السنين وتقادم العهد آتت هذه الجهود أكلها، وجنّت ثمارها، فأقامت أمّة الإسلام على شريحة من أبناء جلدتها صُنعت على أعين أعداء الإسلام، فنظرت تلك الشرذمة إلى العلماء نظرة الناقد الحاقد، فسخروا بأقلامهم، وشمروا عن سواعدهم، واتهموا العلماء بأنّهم قوم رجعيون حامدون متخلّفون ، فالله المشتكى .

ما أحوجنا اليوم ونحن نمر بمرحلة خطيرة من تاريخ ثورتنا المباركة ما أحوجنا أفراداً وجماعات إلى العودة إلى العلماء الصادقين فنلتقي حولهم ونستضيء برأيه حتى نصل بعونه سبحانه إلى بر النجاة.

## المصادر: